

٣ - لقب السفاح

للأستاذ عبد المتعال الصعدي

وعدت في مقالتي للشأن أن أبين للأستاذ العبادي كيف اختلفت الروايات في لقب السفاح بين أبي العباس وعمه عبد الله ابن علي ، وقد سلك الأستاذ العبادي في اختلاف هذه الروايات مسلكاً ليس من الإنصاف العلمي في شيء ، فجعل تلقب أبي العباس بالسفاح من رواية المؤرخين الأدباء كالجاحظ وابن قتيبة والأصفهاني ولهذا لا يوثق بها عنده ، وإنما يوثق بالرواية التاريخية القديمة التي سكنت عن تلقب أبي العباس بهذا اللقب ، كرواية ابن سعد وابن عبد الحكم وغيرها . ويؤخذ بما رواه غير أولئك المؤرخين الأدباء من تلقب عبد الله بن علي بالسفاح ، وإنما كان هذا ليس من الإنصاف العلمي في شيء ، لأن سكوت أولئك المؤرخين عن تلقب أبي العباس بالسفاح لا يصح أن يعطى به في رواية من

كلما طار في السماء شهاب طار قلبي وثباً وراء الشهاب
أود كالبرق في الدجفة^(١) نارا شرب نار الأحزان ملء إهابي
تسمد الذكريات أهلها ، وألقى ذكرياتي محطّم الأعصاب

يا صديق لبيت دعوة « رضوا » ن « وخلّفتني لحراً المصاب
لم تزود أخاك بالنظرة المجزّ لي على وشك نيرة واغتراب
ووداع الأحباب فن من السوا وي وعون على احتمال النياب
ليت أذنت بالفراق ، فكنتنا نثر السمع في طريق الركاب
كذب الشعر ما لمن حان علم بالذي سجلته « أم الكتاب »
إن من مئة الإله علينا أن توارت أسرارنا بالحجاب
لو درى الناس ما تستر عنهم قعدوا عن تناول الأسباب
لمع الغيب للظلم سراباً ضلّ صاد يجرى وراء السراب
روض الغيث قبر من كان روضاً حالياً بالعلوم والآداب
بان عنا ، فبان كل جميل فمراء للآل والأصحاب

على الجندی

(١) الدجفة : السحاب المطبق تطييفا

لقبه به ، لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ ، وهذه قاعدة مشهورة عندنا معشر الأزهريين ، ولا يمكن أن يجادل فيها الأستاذ العبادي ، وإنما يصح الطعن برواية أولئك المؤرخين إذا وردت بنى ذلك اللقب عن أبي العباس ، وحينئذ يكون معناه ثابت ، وقد اختلف علماء الأصول في تقديم أحدهما على الآخر . على أن الأستاذ العبادي لا يمكن أن يدعى أنه استوعب الرواية التاريخية القديمة كلها في ذلك ، وقد فاته من هذه الرواية رواية أبي الحسن السمودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، فقد جاء في كتابه « مروج الذهب » تلقب أبي العباس بالسفاح ، والسمودي مؤرخ مشهور ، وقد كان معاصراً للطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ وهو من عده الأستاذ العبادي في أصحاب الرواية التاريخية القديمة فيكون السمودي من أصحابها أيضاً ، وسيجد الأستاذ العبادي بعد هذا كله أنه لا تمارض بين هذه الروايات ، وأننا لسنا في حاجة إلى إنكار بعضها أو ترجيحها على الآخر

وقد أراد الأستاذ محمود شاكر أن يسلك هذا الطريق في الجمع بين هذه الروايات المختلفة ، فذكر أن قول اليعقوبي (عبد الله بن علي الأصغر وهو السفاح) منقول من ابن سعد في طبقاته حين ذكر أولاد علي (عبد الله بن علي الأكبر وعبد الله بن علي الأصغر السفاح الذي خرج بالشام) ، ولا يريد ابن سعد بذلك التلقب كما يرى من اليعقوبي ، وإنما ذلك صفة كالسفاك والقتال ، وبهذا لا يكون للسفاح لقباً لعبد الله بن علي ، وإنما يكون لقباً لابن أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي ، وقد كان يسمى عبد الله الأصغر أيضاً ، كما كان أخوه أبو جعفر يسمى عبد الله الأكبر . ثم ذكر الأستاذ محمود أن أبا جعفر قد لقبه أبوه بالمنصور فيما يعلم ، فلا غرو أن يكون أبو العباس قد لقبه أبوه بالسفاح كما لقب أخاه بالمنصور

ولما قرأت هذا للأستاذ محمود سأله عما يعتمد عليه في إسناد تلقب أبي جعفر وأبي العباس بالمنصور والسفاح إلى أبيهما محمد ابن علي ، فلم أجده عنده ما يعتمد عليه في ذلك . وقد بحثت بنفسي لئلي أجده ما يؤيده فيه ، فلم أجده إلا ما ذكره صاحب المقعد للفريد ، من أن محمد بن علي ولده من امرأته الحارثية ولدان سمي كل واحد منهما عبد الله ، وكنتي الأكبر أبا العباس ، والأصغر

الحقيقى ييقين ، وإلى ذلك الخلاف الذى سنذكره فيه ، ولكنه مع هذا هو اللقب الذى يصح أن يضمه لنفسه مثل أبى العباس ، ويتلاءم مع ألقاب من أتى بعده من العباسيين .

قال الخطيب البغدادي : عبد الله أمير المؤمنين السفاح بن محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، يكنى أبا العباس ، ويقال له أيضاً المرتضى والقائم ، ثم قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق ، أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق ، حدثنا محمد بن أحمد بن البراء قال : أبو العباس المرتضى والقائم عبد الله بن محمد الإمام بن علي السجاد ابن عبد الله الحبر ابن عباس ذى الرأى ابن عبد المطلب شعبة الحمد .

وذكر القلقشندي أن خلفاء بنى أمية لم يتلقب أحد منهم بألقاب الخلافة ، وأن ذلك ابتدئ بإبتداء الدولة العباسية ، فتلقب إبراهيم بن محمد حين أخذت البيعة له بالإمام ، وأن الخلف وقع في لقب السفاح فقيل للقائم ، وقيل المهتدى ، وقيل المرتضى ، ثم تلقب أخوه بعده بالنصور ، واستقرت الألقاب جارية على خلفائهم كذلك إلى أن ولى الخلافة أبو إسحاق إبراهيم بن الرشيد بعد أخيه المأمون ، فتلقب بالمتصم بالله ، فكان أول من أضيف في لقبه من الخلفاء اسم الله ، وجرى الأمر على ذلك فيما بعده من الخلفاء وفي هاتين الروايتين وخصوصاً الأخيرة من العناية بتحقيق تلك الألقاب ما يجعلنا نتق بهما ، ونطمئن إليهما ، وفيهما لا يدخل لقب السفاح فيما قيل إنه لقب أبى العباس ، وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه فيه ، وقد جاء بعد أبى العباس من تلقب بالقائم بأمر الله ، ومن تلقب بالمهتدى بالله ، ولم يتلقب أحد بالمرتضى بعده ، فله كان اللقب الذى اختاره لنفسه ، على أن ظاهر رواية الخطيب البغدادي أنه كان يقال له المرتضى والقائم معاً .

هذا ولا يفوتنا في ختام كلامنا أن نبين حقيقة ما جاء في تاريخ ابن العبري عن السفاح ، من أنه كان رجلاً طويلاً أبيض اللون ، حسن الوجه ، يكره الدماء ، ويحاي على أهل البيت ، فإن هذا لا يراد منه إلا كراهته لدماء أهل البيت وحدهم ، بدليل ما قدمنا من أسره في دماء غيرهم ؛ على أن العبري يقيس في ذلك أسره بأمر من جاء بعده من العباسيين .

عبد المتعال الصعيدي

أبا جعفر^(١) ولم يذكر أنه لقبهما بذينك اللقبين ، بل الظاهر مما سنقله فيما يأتي عن صبح الأعشى أن أبا جعفر تلقب بالنصور بعد انتقال الأمر إليه من أخيه أبى العباس

والرأى عندى أن أبا العباس لم يلقبه أبوه بهذا اللقب قبل أن تقوم دولتهم ، ولم يلقب هو نفسه به بعد أن صار إليه الأمر ، لأن مثل هذا اللقب لا يتفق مع الألقاب الإسلامية التى عرف بها الأمراء قبل أبى العباس وبه ، وإنما هو لقب لصق به لمصوفاً ، وأطلقه عليه للناس وكثير من المؤرخين ، لوصفه نفسه به في خطبته عند ما يبايع الناس ، فقد ذكر الطبرى أنه لما بويع صمد المنبر فقال : الحمد لله الذى اصطفى الإسلام تكريمة ، وشرفه وعظمه ، واختاره لنا وأيده بنا ، إلى أن قال مخاطباً أهل الكوفة : وقد زدكم في أعطياتكم مائة درهم ، فاستمدوا فأنا السفاح المبيح والثائر المبير

وقد عا لقب للعرب كثيراً من الشعراء بمثل ما لقب به أبو العباس ، فلقبوا عائد بن محسن بن ثعلبة المبدى بالمشقّب لقوله :

رَدَدْنَنَ تَحِيَةً وَكَثَنَ أُخْرَى وَتَقَبَّنَ الْوَصَاوِسُ لِلْمَيُونِ^(٢)
ولقبوا عمرو بن صمد بالمرقش الأكبر لقوله :
الدار قَفَرٌ وَالرَّسُومُ كَمَا رَقَشَ فِي ظَهْرِ الْأَدِيمِ قَلَمٌ
وكذلك كثير من الشعراء غيرها

وإذن يكون لقب السفاح في أصله وصفاً بالنسبة إلى أبى العباس ، كما كان في أصله وصفاً بالنسبة إلى عمه عبد الله ابن علي ، ثم اشتهر به أبو العباس عند بعض المؤرخين ، كما اشتهر به عبد الله بن علي عند بعض آخر منهم ، ولكل منهم في ذلك رأيه واختياره ، وليس فيه شيء من الغلط والاشتباه الذى يدعيه الأستاذ المبادي

وعلى هذا لا يكون لقب السفاح هو اللقب الحقيقى الذى اختاره لنفسه أبو العباس ، وإنما هو لقب غلب عليه عند المؤرخين بذلك السبب السابق ، حتى أنسى الناس لقبه الحقيقى الذى اختاره لنفسه بعد أن صار إليه الأمر ، بل دعا هذا إلى عدم الاعتماد إلى لقبه

(١) هذا يخالف ما سبق من أن الأصغر هو أبو العباس ، ويخالف المعروف أيضاً من أن أم النصور كانت أم ولد بربرية يقال لها سلامة .

(٢) الوساوس : براقع صفار تلبسها الفتيات